المعلم الأولى وما ينبغى له

بقلم الأستاذ الدكتور طه حسين

لست فى حاجة إلى أن أذكر رجال التعليم الأولى بما يجب عليهم لأنفسهم ولعلمهم وللتلاميذهم ولأمتهم . فهم يذكرون ذلك فيما أعتقد على أحسن وجه، ويبذلون فى تأدية هذه الواجبات أقصى ما يستطيعون من جهد ، ثم إن غيرى من الناس يذكرهم بهذه الواجبات فى كل يوم، ويلح عليهم فيها إلحاحا ثقيلا مملا يوشك أن يملأ صدورهم حرجا ونفوسهم ضيقا، فالإلحاح فى نفسه ثقيل، وإذا كان إلحاحا فى التذكير بالواجبات كان أثقل على النفس، وأبغض إلى القلب، وأدعى إلى النفور وخير أداء الواجب ما صدر عن حب ورضى ، لا عن تذكير وإلحاح ، وهذه وزارة المعارف كفيلة والحمد لله بتذكير المعلمين وإن لم ينسوا، وبحثهم وإن لم يقصروا ، وهذه الصحف ما تنفك تلوم المعلمين وتسرف عليهم فى اللوم تجور أحيانا ، وتعدل حينا . فلندع المعلمين إذن وواجباتهم ولنعفهم من الإلحاح عليهم فيها، ولنتحدث إليهم فيما يجب لهم مادام غيرنا يتحدث إليهم فيما يطلب منهم

والذى يجب للمعلمين الأولين كثير أكثر جدا مما يظن الناس ، وأكثر جدا مما يظنون هم . فعمل المعلم الأولى فى مصر غير مفهوم ولا مقدور على وجهه ؛ وأكثر الناس يرى فى كلمة الأولى هذه شيئا من تزول الدوجة ، وتأخر المرتبة إذا ذكر المعلم الثانوى أو المعلم العالى ، ومصدر ذلك فى أكبر الظن أن الديمقراطية لم تستقر فى نفوسنا بعد ، كما ينبغى وإنا مازلنا نحتفظ بشىء من نظام الطبقات ، ونسى أن الحياة الجديدة لا تقوم على هذا النظام وإنما تقوم على توزيع الأعمال ، فمهمة المعلم الأولى ليست بحال من الأحوال أهون شأنا ولا أقل خطرا من مهمة أستاذ الجامعة ، ذلك أن أستاذ الجامعة لا يمكن أن يوجد فى نفسه إلا إذا كونته يد المعلم الأولى ، فهو قد مر بالمدرسة الأولية طفلا ؛ ثم هو لا يستطيع أن يجد ملايين الجامعيين إلا إذا كونهم له المعلم الأولى ، لأنهم يمرون بالمدرسة الأولية أطفالا، والمعلم الأولى نفسه لا يمكن أن يوجد ولا أن يؤدى عمله على وجهه بغير الأستاذ الجامعى ، لا لأن المعلم الأولى يتعلم فى الجامعة أو يخرج منها، بل لأن رجال التعليم العالى هم الذين يشرفون أو ينبغى أن يشرفوا على حياة التعليم كله مهما تختلف فروعه ، وهم الذين يضعون أو ينبغى أن يضعوا ما يحتاج إليه التعليم من برنامج أو نظام .

فالتضامن إذن هو أساس الحياة بين رجال التعليم على اختلافهم ، كما أنه أساس الحياة للأمة كلها . على اختلاف ما تتجه إليه من فروع النشاط . وإذن فليست الأمة أشد حاجة إلى

هؤلاء المعلمين منها إلى أولئك ؛ وإنما هي محتاجة إليهم جميعا بمقدار واحد ، وعلى قياس واحد تحتاج لهؤلاء في طور من أطوارها، وتحتاج لأولئك في طور آخر من هذه الأطوار. وإذن فمن سوء الفهم وقصر النظر إلى حقائق الأشياء ، أن يحسب حساب لما بين المعلمين من تفاوت الدرجة ، واختلاف المرتبة ، ولا بد من أن تنظر الدولة إليهم جميعاً نظرة واحدة ، تقوم على المساواة ، والعدل والإنصاف .

وعلى هذا فأول ما يجب للمعلم الأول على الدولة والأمة معاً أن يستمتع بحقه من الإنصاف فلا تنظر إليه على أنه نافلة أو على أنه شيء يمكن الاستغناء عنه ، أو على أنه مؤثر من المؤثرات الثانوية في حياة الشعب ، وإذا ظفر المعلم الأول بهذا الحق فاستمتع بالإنصاف الكامل ولم يتعرض لجور ولا حيف ، فقد يكون من حق الدولة عليه أن تنتظر منه أداء واجباته على أكمل وجه .

فأما قبل ذلك فقد يكون من حق الدولة أن تخافه، وأن تشفق منه لأنه سيتعرض للسخط والحرج ؛ ولست أعرف شيئا شرا على حياة الأمم والأفراد من سخط المعلمين ، والمعلمين الأولين بنوع خاص . ذلك أنا نكل إليهم أبناءنا وبناتنا وهم أطفال يتأثرون أشد التأثر بما يرون من الصور، وما يلقى في نفوسهم من الخواطر والمعاني . فإذا سخط المعلم وحزن ، واضطرب وضاقت حاله ، لم يظهر لهؤلاء الأطفال إلا صورا كاسفة شاحبة مظلمة ، ولم يلق في نفوسهم إلا خواطر حزينة أليمة ، مرة ، ولم يقض لنا منهم إلا أطفالا محزونين معرضين لأقبح ألوان الضعف والفتور ، واليأس والخمود .

ذلك إلى أن المعلم الأول هو أشد الناس اتصالا بالجماهير ولا سيما في قرى الريف ومدن الأقاليم ، وكلمته في هذه الجماهير مسموعة ، ورأيه فيها مطاع ، وهو من أقوى أدوات الدعاية وأشدها خطراً ، فإذا سخط على نظام الحياة الاجتماعي استطاع أن يبغض الناس فيه ، ويصرفهم عنه ، ويؤلبهم عليه . وحسبك بهذا شرا في بلد يريد أن يتجنب اضطراب النظم الاجتماعية . والذين يدرسون حياة الأمم القريبة يلاحظون أن هذه الأمم تعنى بالمعلمين الأولين عناية لا حد لها ، لأنها تقدر عملهم وقوتهم، وتحسب لتأثيرهم في الجيل الحاضر وفي الأجيال المقبلة كل حساب . ولست أدري هل يعلم الناس في مصر أن المعلمين الأولين يتحكمون في مصير كثير من النواب في فرنسا ويملون على الدولة شروطهم في كثير من الأحيان، لأن تأثيرهم في الجماهير شديد، ولأن أمور الانتخاب تكاد توكل إليهم في بلاد الريف ، وفي المدن التي لا تكثر فيها الصناعات ؟!.

وهل يعلم الناس في مصر أن أمور القرى في فرنسا وأمور المدن أيضاً إنما هي إلى المعلمين الأولين لأنهم يعملون دائما مع العمد وإليهم سكرتيرية المجالس القروية . وأن هذا كله يفرض

على الدولة وعلى البلديات ومجالس الأقاليم أن تمنحهم أوفر حظ من العناية وأعظم نصيب من الراحة ولين العيش ومع ذلك فهم غير راضين . والمؤتمر الذي يعقدونه في الصيف من كل عام حدث من الأحداث السنوية الكبرى في فرنسا تهتم له الحكومة وتعنى به الصحف وكثيرا ما يرأسه عظماء فرنسا، وقد شهدته مرة يرأسه رئيس مجلس النواب ؟؟.

ما أجدر المصريين أن يفكروا في هذا كله ، وما أجدر المعلمين أنفسهم أن يفكروا في هذا كله أيضاً ، فان هذا التفكير قد يعفينا من مشكلات جسام لا نراها اليوم ، ولكنها ستعرض لنا غدا أو بعد غد إذا لم نأخذ بالحيطة والحذر ولم تعرف رجال التعليم الأول ما يجب لهم من العدل والانصاف .

طه حسين

الشدائد؟

الشدائد مقياس لبني الانسان وملك للخليقة البشرية على اختلافها وتباينها . هي معنى سام ، تزكي العقل وتربي الروح . تهذب النفس وتحسن الرأي . إذا حلت بضعيف العقيدة امتعض امتعاضا وزفر زفرة تكاد تمزق حجاب قلبه !! فيصفر وجهه !! ويحزن وجدانه !! وتهيج أعصابه !! فيزمجر ويصخب !! ويتبرم ويتأفف !! ويستغيث ويستنجد!! علّه يجد فرجة أو يتنفس عنه ، يفكر في مخرج من هذه الفوة والالتفاء من هذا الشبح المخيف، فيرجع تفكيره خائبا وهو حسير !!

ولكنه لو درى أن الشدائد سر عظيم . . . ولطف خفي . . . ومكرمة طيبة . . . بها يعرف جده من هزله . . . وحقيقته من خياله . . . لما خاف منها ذرعا . . . ولا استغلب مرارة كأسها . . وأخذ الكل أمر عدته وعمل الكل شيء حسابا . فيقدر الشدائد تكون الزائم

إن الشدائد مدرسة لتعليم المرء الحياة الصحيحة . بل هي الطبيب الماهر الذي يعرف الداء فيحسن الدواء . مرشد ناصح . ومرب أمين ، تقوي اليقين . . . وتوطد العقيدة ، تهدي إلى الصبر . . . وتقود إلى كل بر . فهي أكبر الأماني . . . وميزان لنجاح الأعمال ؟

محمد حسن خليفة
نائب أسوان ورئيس مدرسة أدعاق مركز الدر